﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝٧ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝٨ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٩﴾ [الشّعراء: 7 - 9]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قَبْلَها:

الـرّبـط بين الإعـراض عن الآيـات المنـزلة وآيـات الكـون المشاهدة

بعد أن أورد النَّظْم الجليل ذِكْر الآيات المبينة المعجزة، وأنّها لم تقع منهم موقع التّأثير فأعرضوا عنها؛ أَتْبَعَ ذلك ببيان أنّهم أعرضوا عن الآيات الكونيّة كذلك، مع أنّهم يشاهدونها في الآفاق[1]، فبيّن النّظم الجليل أنّ الله تعالى مع حكمته في إنزال القرآن الكريم متجدِّدًا، فإنّه رحيم بعباده فلا يتركهم عند ذلك الحدّ؛ بل يُظْهِرُ لهم من الدّلائل المبثوثة بالكون ما يكفي للمُتأمِّل في النّظر والاستدلال[2]، مُتْبِعًا ذلك ببيان أنّ ذلك باهرٌ للعقل، ومُنبِّهٌ للأنظار على عظيم اقتدار صانعه وبديع اختياره، وأنّه آية كافية للاستدلال على الخالق العظيم[3].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿زَوْجٍ﴾: (زوج) أصلٌ يَدُلُّ على مُقارَنَةِ شَيْءٍ لِشَيْءٍ، يُقال: لفُلانٍ زوجان من الحمام؛ أيْ: ذكرٌ وأنثى؛ وزوجٌ من الثّياب؛ أيْ: لونٌ منها[4]، فالزَّوْجُ كلُّ شَيءٍ ثانٍ مع شيءٍ آخَرَ بينهما تَقارُنٌ في حالٍ ما، وسُمِّيَتِ الأُنثى القرينةُ للرَّجُلِ بنكاحٍ زَوْجًا لأنّها اقترنتْ به وصيَّرتْهُ ثانيًا، ويُسمَّى الرَّجُلُ زوجًا لها[5]، ويُطلَقُ الزَّوجُ على الصِّنْفِ مِنْ

(1) الهرري، حدائق الرّوح والرّيحان: 20/ 154، والشعراوي، تفسير الشّعراويّ: 17/ 10539.
(2) تفسير النّيسابوريّ، غرائب القرآن: 5/ 264.
(3) البقاعي، نظم الدّرر: 14/ 11.
(4) الخليل، العين: (زوج).
(5) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/ 428.

نَوعٍ، كقوله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ﴾ [الرّعد: 3]، وممّا سبق يتبيَّن أنّ المقصود بالزَّوج في الآية: هو اسمٌ لِذاتٍ مُنْضَمَّة إلى غَيرها على وجه المُلازَمَة، والمُراد به النَّوع[1].

2) ﴿كَرِيمٍ﴾: (كرم) أَصْلُ الكَرَم: الجودُ وكَثْرَةُ الخَيْر، يُقال: كَرُمَ الرَّجُلُ: إذا جادَ وأَعْطَى دون انْتِظارِ مُقابِلٍ، والكَريمُ من كُلِّ شَيْءٍ: النَّفيسُ الفائِقُ في صِنْفِه[2]، والكَريمُ أيضًا: كَثيرُ الخَيْرِ حَميدُ الصِّفاتِ، وضِدُّ الكَرَم: البُخْلُ واللُّؤْمُ[3]، ومِن مَعانيه أيضًا: العَظَمَةُ، والنُّبْلُ، والفَضْلُ، والصَّفْحُ، والحُسْنُ، والسُّهولَةُ، والسّيادَةُ[4]، والمُرادُ بالكَريمِ في الآية: المحمودُ فيما تحتاج إليهِ فيهِ؛ أيْ: النَّفيسُ من نوعه[5].

3) ﴿لَأٓيَةٗۖ﴾: (أي) الهَمزَةُ والياءُ أَصْلٌ واحِدٌ، وأصلُ الآية العلامة الثّابتة من قولك: تأَيَّيْتُ بالمكان إذا أقمتَ به وثبتَّ فيه ومن ثَمَّ يُقالُ: لأجعلنَّك آيةً؛ أيْ: علامة[6]، وهي في القرآن على وجهيْن: الأوَّل: العِبرة، كما في الآية: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةٗ﴾ [المؤمنون: 50]؛ أيْ: عِبرة يُعتبر بها، والثّاني: العلامة، قال: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الرّوم: 22]؛ أيْ: ومن العلامات على رُبوبيَّته، والوجهان مُتقاربان يصلح استعمال أحدهما في موضع الآخر[7]، والآية هنا مُراد بها العِبرة على قُدرة الله تعالى في خَلْقِه.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

بعد أن بيَّن الله تعالى أنَّهم أعرضوا عن الآيات المنزلة من عنده؛

الصُّنعُ الحَكيمُ في الأرض المُسخَّرة لا يَصدُرُ إلّا عن الخالق الحكيم

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8 - أ/ 128، و19/ 101.
(2) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (كرم).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (كرم).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن منظور، لسان العرب، والزّبيديّ، تاج العروس: (كرم).
(5) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (كرم)، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 101.
(6) الخليل، العين، والرّاغب، المفردات: (أى).
(7) العسكريّ، الوجوه والنّظائر، ص: 92.

ذكَر أنَّهم أعرضوا عن الآيات الَّتي يشاهدونها في الآفاق؛ فقال: أولم يَرَ أولئك المُشرِكون إلى الأرضِ وكثرة ما فيها من أصناف النّبات المختلفة الأشكال والألوان، ممّا يدلُّ على باهر القُدرة وعظيم سلطان ذلك العليّ الكبير؟! إنَّ في إحيائها وإنباتِها بعدَ مَوتِها لَدَلالةً على قُدرةِ اللّهِ على إحياءِ الموتى، وما أكثَرُ هؤلاء المُشركين بمؤمِنينَ باللّهِ تعالى وآياتِه، وإنَّ ربَّك يا محمَّدُ لهو القويُّ القاهِرُ المُنتَقِمُ مِن أعدائِه الرَّحيمُ بعبادِه، فلا يعاجِلُهم بعِقابِه، ويقبَلُ تَوبةَ مَن آمَنَ به، ويُنَجّي أولياءَه[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالة (الواو) في سياق الآية:

عطف الأدلّة يُقيم الحُجَّة ويُؤكّدها

عطف النَّظم الجليل الجملة في قوله ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾، على الجملة في قوله جلّ شأنه: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾، والمقصود من هذا العطف إقامةُ الحُجَّة على المُعرِضين المُكذِّبين بأنّهم لا ينتفعون بالآيات؛ لأنّ المكابرة تصرفهم عن التّأمُّل فيها[2].

دلالةُ الاستفهامِ في سياق الآية:

عدمُ الانتفاعِ بالآياتِ الكونيّة يستحقُّ الإنكارَ والتّوبيخ

استعمل النّظمُ الجليل همزة الاستفهام في قوله ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ للإنكار والتّوبيخ؛ فقد أنكر عدم رؤيتهم تلك الآية؛ لأنّ دلالة الإنبات على الصّانع الواحد دلالة ظاهرة بيّنة لكلّ مَنْ يرى ذلك الإنبات، فلمّا لم ينتفعوا بذلك؛ كانت رؤيتهم كالمعدومة؛ فأنكر عليهم ذلك، والمقصود من هذا الإنكار: إنكارُ عدمِ استدلالهم به مع ظهوره[3].

(1) ابن جرير، جامع البيان: 17/ 550، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 13/ 91، والمراغيّ، تفسير المراغيّ: 19/ 47، والسّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 589.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 100.

(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 101.

دلالةُ التّعبير بالمضارع ﴿يَرَوْاْ﴾:

آثرَ النَّظم الكريم التَّعبيرَ بالفعل المضارع في قوله ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ لما فيه من دلالة على التَّجدُّد والدّوام؛ فالمراد من الرّؤية أن تكون نظرة تأمُّليَّة متتابعة؛ وليست نظرة عاجلة غير متريّثة؛ بل تَرْجِعُ البصرَ حينًا بعد حينٍ[1]، وإنباتُ النَّبات حدثٌ يطولُ ويستغرقُ زمنًا، ورؤيته بتلك الحال تقتضي زمانًا مُتتابعًا من الرّؤية؛ فكان المضارع أنسبَ هنا.

النَّظر التَّأمُّليّ في الخَلْق يدلُّ على عَظَمَة الخالق

دلالةُ التّعبير بشبه الجملة: ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾:

علّق النّظم الجليل شبه الجملة بفعل الرُّؤية في قوله ﷻ: ﴿يَرَوْاْ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ للدّلالة على أنّ الأرض كائنةٌ بمَرْأى منهم، يُشاهدون عجائب آياتها، ومن ذلك إنبات النّبات؛ فالأرض وما فيها هي آية ظاهرة أمام أعينهم؛ فهم يروْنَها هامدةً جرداء مُقْفرةً، فإذا نزل عليها الماء ازدانت ببهيج النّبات ونافعه[2].

آية إنبات الأرض ماثلة أمام المُنكرين متاحةٌ لنظرهم

بلاغةُ المجاز العقليّ في ذِكْر الأرض:

عبّر النّظم الجليل بجعل الرّؤية حاصلة إلى الأرض في قوله جلّ شأنه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾، وذلك على طريقة المجاز العقليّ؛ إذ ليس المُراد رؤية الأرض لذاتها؛ بل لما حلّ فيها ويقع فيها من الإنبات والعجائب الّتي ترافقه؛ فذكر المحلَّ وأراد الحالَّ فيه.

رؤيةُ الأرض الّتي هي موطنُ الإنباتِ وعجائبه

دلالةُ موقعِ جملة كم الخبريّة:

فصَلَ النَّظْمُ الجليلُ الجملة في قوله ﷻ: ﴿كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾؛ لأنّها مُستأنَفة استئنافًا بيانيًّا، سيقت لبيان ما في الأرض من الآيات الباهرة الزّاجرة عن الكفر والإعراض[3]، فلمّا

كثرةُ الإنباتِ مفصحةٌ عن وجه الإنكار، عن انتفاء نظرهم إلى الأرض

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 10/ 5338.
(2) الشعراوي، تفسير الشّعراويّ: 17/ 10540.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 235.

أورد الإنكارَ عن عدم الرّؤية إلى الأرض؛ كأنّه قيل: ماذا يُنكر عليهم من عدم رؤيتهم إيّاه؟ فقيل: كم أنبتنا فيها، كثيرًا من النّباتات الّتي تنبت بعد أن كانت الأرض مواتًا.

معنى ﴿كَمْ﴾ ودلالتُها في البيان المُحكَم:

قـدرةُ الخالق المُبْدِع لا يُعجزها خلقُ لكلِّ رائعٍ

عبّر النّظم الجليل بـ ﴿كَمْ﴾ في قوله ﷻ: ﴿كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾؛ وهي هنا خبريّة[1] وهي اسم دالٌّ على الكثرة تستعمل للدّلالة على التّكثير في الخبر، والتّقديرُ: (أنبتنا في الأرض الكثيرَ من الأزواج النّافعة من النّباتات الرّائعة).

وجهُ تخصيصِ ذِكْر الإنبات دون غيره:

ذِكْـرُ الإنبـات تذكيرٌ بصفتَي (القـدرة) و(النّعمة)

خصّ النّظم الجليل ذِكْر الإنبات دون غيره في الإنكار على الكافرين في قوله ﷻ: ﴿كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾، وذلك لأنّ الإنبات مُختصّ بالدّلالة على قُدرة الخالق تعالى مع الدّلالة على النّعمة فيه[2]؛ فهو إيجازٌ ينطوي على صفتي الإنعام والقدرة.

دلالة ﴿مِن﴾ في السّياق الكريم:

جنسُ النّباتِ المُنْبَتِ كائنٌ من الأزواج كلِّها

عبّر النّظم الجليل بحرف الجَرِّ ﴿مِن﴾ في قوله ﷻ: ﴿كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ للدّلالة على البيان؛ فهي ﴿مِن﴾ البيانيّة التي تُبيِّن جنسَ الإنباتِ؛ أيْ: أنبتنا فيها من زوج؛ أيْ: شيئَيْن مُتقابلَيْن[3].

بلاغةُ الجمعِ بين الكثرة والشُّمول:

كـثرةُ النّبـات وكـثرةُ أنـواعـه دليلٌ على قدرة الله وكماله

جمعَ النّظمُ الجليل بين لفظ ﴿كَمْ﴾ الدّالِّ على الكثرة، ولفظ ﴿كُلِّ﴾ الدّالّ على الشّمول في قوله ﷻ: ﴿كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ دون أن يقول: (كَم أَنْبَتْنا فيها مِنْ زَوْجٍ كَريمٍ)؛ وذلك لأنّ ﴿كُلِّ﴾ يدلّ على الإحاطة بأزواج النّبات على سبيل التّفصيل،

(1) صافي، الجدول في إعراب القرآن: 10/ 55.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 235.
(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 10/ 5339.

و﴿كَمْ﴾ تدلُّ على أنّ ذلك مُتكاثِرٌ مُفرِطُ الكثرة، وفائدتُه التَّنبيه على كمال قدرته تعالى[1].

علّة حذف تمييز ﴿كَمْ﴾:

الحذف تعويلًا على الفهم من السّياق مفيدٌ في البيان

أوجز النَّظم الجليل بحذف تمييز ﴿كَمْ﴾ الخبريّة في قوله ﷻ: ﴿كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾، وذلك لأنّه استُغْنِيَ بذِكْر الأزواج عنه، فقد عُلِم التّمييز من قوله: ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾، وفي هذا إيجازٌ بحذف بعض الكَلِم تعويلًا على فهمِه من السّياق[2].

عِلَّة التّعبير بـ (الزّوج) دون (النّبات):

الزّوج في الإنبات أكثر تفصيلًا وشمولًا من لفظ النّبات

آثر النّظم الجليل التّعبيرَ بلفظ الأزواج دون النَّباتات في قوله ﷻ: ﴿كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ للدّلالة على سعة الأنواع؛ فهو ينصُّ على الشّمول والتّفصيل؛ فيدلّ على الأصناف والصّفات كلّها؛ فيشمل كلَّ زوجيْن متقابليْن في اللّون، أو الذّكورة والأنوثة، وغير ذلك من كلّ شيئيْن مُتقابليْن في الألوان والطُّعوم، فهو أكثر تفصيلًا ممّا لو قال: من النَّبات[3].

دلالة وصف الزّوج بأنّه ﴿كَرِيمٍ﴾:

احتواءُ كلِّ نبتٍ على فائدةٍ جمّةٍ دالٌّ على أنّ الصَّنعة في القمّة

وصفَ النَّظم الجليل الزّوج بأنّه كريم في قوله ﷻ: ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾، وذلك لاحتواء الفرد منها على فوائد جمّة وصفات ونِعَم كثيرة، فمعنى صفة الكريم أنّه كثير العطاء وكثير الخيرات[4]، كما أنّ في وصف النّبات بصفة الكرم في سياق الاستدلال يدلّ على الوفاء بالامتنان مع عدم فوات الاستدلال[5].

(1) الزمخشري، الكشّاف: 3/ 300، ، والنّيسابوريّ، غرائب القرآن: 5/ 264.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 101.
(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 10/ 5339.
(4) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 17/ 10542.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 101.

بلاغةُ إيجازِ القصرِ في السّياق:

حَـشْـدُ المعـاني الـكـثـيرة بلفظٍ يسيرٍ من معالم إعجاز القرآن

جاءتِ العبارة في قوله ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ على الغاية من الإيجاز؛ فكَثُرت المعاني على قلّة الألفاظ؛ فقد شملت هذه الجملةُ كلَّ المعاني الّتي يتضمَّنها الإنبات والزَّرع والغراس، وما تؤتيه من ثمار النّخيل والأعناب، وسائر الفواكه من كلِّ ما تشمله الألفاظ وتراه الأعين[1].

الموقع البيانيّ لجملة ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾:

إيـــراد الحـجـج الـواضـحـة، آية ظاهرة مؤكّدة

فصَلَ النّظم الجليل الجملة في قوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾، لأنّها مستأنَفَةٌ استئنافًا بيانيًّا[2]؛ فهي مُساقَةٌ للجواب عن سؤال نشأ بعد سرد الآيات كأنّه قيل: هل في ذلك احتجاجٌ عليهم؟ فقيل: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾.

الغرضُ من تأكيدِ الخبرِ في السّياق:

تأكيدُ الخبر يُزيل إنـكـار الـسّـامـع وتوهُّمَه

أكَّد النَّظم الجليل الخبر المُساقَ في قوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾ بـ ﴿إِنَّ﴾ المؤكّدة وبالجملة الاسميّة لأنّهم أنكروا تلك الأدلّة القائمة على توحيد الصّانع ﷻ، فجاء التّأكيد للرّدّ على ذلك الإنكار.

دلالة التّعبير باسم الإشارة:

ظـهـرت الآيـات واتّضحت، حتّى شخصَت فأشير إليها

عبّر النّظم الجليل باسم الإشارة، في قوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾، للإشارة إلى الأرض وما ذُكِر فيها من إنبات الأزواج، وما في تلك الأزواج من منافع وبهجة، وما تقدّم ذكره من آيات الكتاب المبين[3]، واسم الإشارة يدلّ على ظهور تلك الآيات، فهي شاخصة بحيث إنّها يشار إليها.

سِرُّ إيثار التّعبير باسمِ الإشارةِ الدّالِّ على البُعْد:

الأدلّـة المُساقة ذات مـنـزلـةٍ رفيعةٍ في البيان

اختار النَّظمُ الكريم التّعبير باسم الإشارة الدّالِّ على البعد في

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 10/ 5339.
(2) صافي، الجدول في إعراب القرآن: 10/ 55.
(3) البقاعي، نظم الدّرر: 14/ 11.

قوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ دون أن يقول: (إنّ في هذا لآية)؛ وذلك للإيذان بأنَّ أمرَ الإنباتِ وما في الأرض من آيات، وما في آيات الكتاب المبين من استدلالٍ على الحقِّ - ذو منزلة عالية في الفضل والعظمة[1].

دلالة (اللّام) في قوله ﴿لَآيَةً﴾:

اتّصاف المذكورات بكونها آياتِ أمرٍ مُؤكَّدٌ لا يُخالطه شَكٌّ

أدخل النّظمُ الجليل اللّام على الخبر في قوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾، وهي اللّام التّوكيدية المُزَحلَقة من صدر الجملة إلى الخبر، للدّلالة على تأكيد مضمون الجملة، ومبالغة في شأن الآية وعظمتها، لأنّ مدلولها يُؤكّد على مضمونٍ هو - كما في (الهداية إلى بلوغ النّهاية) -: "إنَّ في إنباته النَّباتَ في الأرض لَدلالةً لهؤلاء المنكِرين للبعث على كونِ البعثِ، وأنّ القدرةَ الّتي أنبت الله بها في الأرض ذلك النّبات؛ لَيَقْدِرُ بها على نَشْر الموتى بعد مماتهم"[2].

دلالة التّعبير بلفظ ﴿لَآيَةً﴾ مفردةً:

كلُّ آيةٍ دالَّةٌ على الحقِّ تكفي في الاستدلال بيقين

آثرَ النّظم الكريم التّعبير عن الحُجَجِ بلفظ الآية المفرد في قوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾؛ لأنّ المذكورات علامات واضحة على ما استدلّ به؛ فهي آيات واضحة، وجيءَ بها مفردةً لإرادة الجنس، ولأنّها على كثرتها تشير إلى أنّ الحُجَجَ متساويةٌ في الدّلالة، فمَنْ صَدَقَ لمعرفة الحقِّ أَغْنَتْه واحدةٌ منها[3].

دلالة التّعبير بلفظ ﴿لَآيَةً﴾ نكرةً:

الآيـاتُ تعظمُ قـدرًا لدلالتها عـلى الـخـالـق العظيم

اختار النّظم الكريم التّعبير عن الآية بصيغة التّنكير في قوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ لما في التّنكير من دلالة على التّعظيم؛ فهي آيةٌ عظيمةٌ دالَّةٌ على كمالِ قُدرةِ مُنزِل الكتاب خالقِ الأرض وما

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 235.
(2) مكّي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النّهاية: 8/ 5280.
(3) البقاعي، نظم الدّرر: 14/ 11.

فيها من نبات، وهي بذلك موجِبةٌ للإيمانِ، دالَّةٌ على قبيح الإعراض عنها والكفر بها[1].

دلالة العطف بالواو في السّياق:

بيان أنّه مع كثرة الأدلّة لم يُؤمن إلّا قليلٌ من المُنكرين

عطف النّظم الجليل الجملة في قوله جلّ شأنه: ﴿وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ على الجملة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ﴾، وذلك لبيان أنّهم مُصرِّون على الكفر، فمع كلّ تلك الأدلّة لم يؤمنوا إلّا القليل منهم[2].

دلالة التّعبير بـ﴿وَمَا كَانَ﴾:

تسليط النَّفي على الفعل الدالّ على الاستمرار

عبَّر النّظْم الجليل عن انتفاء الإيمان عن أكثرهم بنفي فعل الكون في قوله جلّ شأنه: ﴿وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ﴾؛ فسلَّط النّفي على الفعل ﴿كَانَ﴾، ولم يقل: (وأَكْثَرُهُم لا يُؤْمِنونَ)؛ وذلك للدّلالة على الاستمرار، فقد استمرّ أكثرهم على غير الإيمان؛ لأنّهم لم تُدرِك عقولهم، ولم يتدبّروا ولم يتفكّروا[3].

دلالة نفي الإيمان عن (الأكثر) دون (الكلّ):

من النّاس مؤمن وكافر، ولكنّ أكثرهم لا يؤمنون

جعل النَّظْم الجليل نفي الإيمان واقعًا على أكثرهم في قوله جلّ شأنه: ﴿وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ﴾، ولم يقل: (وَما كانوا مُؤْمِنينَ)؛ وذلك لأنّ بعضهم يؤمنون حينئذٍ أو بعد حين[4]، لكنّ الغالب في كلّ العصور أنّ التّعامل مع الرِّسالات والهدايات تكون سلبيّة ذلك أنّ: "أكثر النّاس لا يلتفتون إليها، وإن التفتوا لا يروا شيئًا، وإن رأوا شيئًا أنكروه، وتأوّلوه تأويلًا فاسدًا، وهذا هو شأن هؤلاء العُتاة المُتكبِّرين المشركين"[5].

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 235.
(2) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 17/ 10542.
(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5339.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 102.
(5) عبد الكريم الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 10/ 74.

بلاغة التّذييل في الآية الكريمة:

قدرة الله تعالى على العقاب والجزاء يقين لا مرية فيه

فصل النَّظم الجليل الجملة في قوله جلّ شأنه: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾؛ لأنّها مُستأنَفة[1] جيء بها تذييلًا للخبر السّابق في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾، وذلك بوصف الله بالعزَّة تعبيرًا عن تمام قدرته بعقابهم ونصرة نبيِّه، وأنّه بسبب رحمته أمهلهم لعلَّهم يؤمنون ويرشدون[2].

دلالةُ توارد المؤكّداتِ في الجملة:

حشدُ المؤكّداتِ يُقرّر الخبر ويُؤكّد مضمونه

أورد النَّظم الجليل الجملة في قوله جلّ شأنه: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ في غاية التّأكيد، فحشد المؤكّدات من كونها جملة اسميّة وافتتاحها بـ (إنّ) المؤكّدة، والمجيء بلام التّأكيد وضمير الفصل؛ وذلك لتقوية الخبر وتقريره.

إيثار التّعبير بلفظ ﴿رَبَّكَ﴾:

الرَّبُّ الّذي سبق منه الإحسان قادرٌ على نُصرة نبيِّه ضدّ الكفران

آثر النّظم الكريمُ التّعبيرَ بلفظ الرُّبوبيَّة مُضافًا إلى ضمير المخاطب في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ إشارةً إلى معاني الحفظ والإحسان السّابق بالإرسال وتحقيق الرّعاية والقيام على الحياة[3]، فمَنْ فعل ذلك هو العزيز القادر على نصرتك، فلا يخذلك الآن وقد سبق إحسانه إليك، كما أنّ في خطابه ﷺ مزيدًا من الرّعاية والتّسلية التي سيقت الآيات لتحقيقها.

دلالةُ اجتماعِ (العزّة) و(الرّحمة):

اللهُ رحيمٌ يبعثُ البيِّناتِ قبل إنزال العقوبات

جمعَ النّظمُ الجليل بين صفتي العزّة والرّحمة في الفاصلة في قوله جلّ شأنه: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ للدّلالة على كمال القدرة وكمال الرّحمة؛ فإنّه قادرٌ على عقوبتهم؛ لأنَّه عزيز

(1) عبدالله علوان وآخرون، إعراب القرآن الكريم: 3/ 1609.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 102.
(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5339.

مقتدر، ومن رحمته بهم أنّه أرسل إليهم البيّنات والدّلائل ليتفكَّروا ويعتبروا[1]، كما أنّ من رحمته وقدرته نَصْرَ أنبيائه، فيكون الجمع بينهما مناسبًا على وجه الكمال لسياق تسلية النّبيّ ﷺ.

نكتةُ التَّرتيب في ﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾:

الآيـةُ القاهرةُ تُناسب العِزَّة، والرَّحمةُ الظّاهرة تفخيمٌ لها

قدَّم النَّظم الجليل صفةَ العزّة على صفة الرّحمة في قوله جلّ شأنه: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾؛ لأنّه أنسب للسّياق؛ حيث قدّم ذِكْر الآية القاهرة التي تُسبِّب إيمانهم جبرًا، فلمّا كان السّياق كذلك؛ قدّم ما يُناسبه من الوصف وهو صفة العزّة الدّالَّة على القدرة؛ أيْ إنَّه قادرٌ على عقوبتهم بسبب إعراضهم[2]، كما أنّ تأخير الرَّحمة عن صفة العزَّة فيه تفخيم لشأن الرّحمة؛ وذلك لأنَّ الرّحمة الصّادرة عن القدرة هي أعظم موقعًا وأدلُّ على اللُّطف بالعباد[3].

(1) النّيسابوريّ، غرائب القرآن: 5/ 265.
(2) البقاعي، نظم الدّرر: 14/ 12.
(3) النّيسابوريّ، غرائب القرآن: 5/ 265.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والثلاثون،
سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والثلاثون، سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 38 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-80-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 38 : المجلد الثامن والثلاثون، سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-80-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5248773 بتاريخ 2024/11/26م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»